السنة الثالثة والسبعون وثلاث مئة

فيها في أول المُحرَّم ورد أبو الحسن محمد بن عمر بن يحيى العلوي وابنُ معروف ومَنْ حبسه عَضُد الدولة في القلعة إلى بغداد، وورد ـ أيضاً ـ أبو عبد الله الحسين بنُ عزِّ الدولة وإخوتُه. وقيل: تأخَّر حضورُهم.

وفي الثاني عشر[١] من المُحرَّم أُظهرت وفاةُ عَضُد الدولة، وحُمِل تابوتُه إلى المشهد[٢]، وتولَّى حَمْلَه أبو الحسن علي بن أحمد نقيبُ العلويين، وجلس صَمْصام الدولة في العزاء[٣]، وجاءه الطائع معزِّياً، ولُطِمَ عليه في دُوره وفي الأسواق أياماً.

وفي يوم السبت لسبعٍ بَقِين من المُحرَّم ركب صَمْصام الدولة إلى دار الخلافة، وخُلِعَ عليه الخِلَع السبع، وتُوِّج وطُوِّق وسُوِّر كما فُعِلَ بأبيه، وقُرِئ عهدُه. [قال ابن الصابئ:][٤] وكان الطالعُ العقرب، وعاد إلى داره وقد ضُرِبت له القِبابُ كما جرَت عاداتُ أبيه، وأَخرج في البيعة [٥] ألفي ألف درهم، ولقَّبه الخليفةُ شمسَ المِلَّة، وكتب إلى الآفاق ببيعته.

وفي صفر انقضَّ كوكبٌ عظيمٌ، وسُمِع بعدَه صوتُ الرعد[٦].

وفي صفر أيضاً شغبتِ الدَّيلمُ والأتراكُ شغباً عظيماً، وخرجوا بعيالاتهم وأموالهم نحو فارس، ونهبوا ما قدروا عليه من الإصطبلات من الدوابِّ وغيرها، ولم يقدِرْ صَمْصام الدولة على منعِهم، وورد أبو طاهر فيروزشاه بن عضد الدولة إلى البصرة.

---

(١) هكذا في جميع النسخ، وفي النجوم الزاهرة ٤/ ١٤٣، لكن جاء في المنتظم ١٤/ ٣٠٠ والخبر فيه: عاشر، إلا أنه أشير في هامشه إلى أنه في الأصل كما هنا.

(٢) وهو المشهد الغربي كما جاء في المنتظم.

(٣) جاء بعدها في المنتظم زيادة: بالثياب السود على الأرض.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(م١)، وكل زيادة ستأتي ولم يُشَر إليها فهي منهما.

(٥) في (م): من المتعة.

(٦) الخبر في المنتظم ١٤/ ٣٠١، والكامل ٩/ ٣٧، لكن وقع ذكره فيه في شهر ربيع الأول.

وفي شعبان مات مؤيد الدولة أبو منصور بُوَيْه بن ركن الدولة، وجلس صَمْصام الدولة في العزاء، وجاء الطائع مُعزِّياً.

وفيها غَلَتِ الأسعارُ بالعراق، وجاع الناس مجاعةً عظيمةً، وبلغ كُرٌّ[١] الحنطةِ ثلاثةَ آلاف درهم، والشعيرِ ألفاً وخمس مئة درهم، ثم زاد سعرُ الحنطة فبلغ الكرُّ أربعةَ آلاف درهم، والشعيرُ ألفي درهم، ومات الناس على الطُّرق، وهلك الضعفاء، ثم تناقص، وأُنزلت جُثَّة محمد بن بَقيَّة ودُفِن، وأُطلق من كان بالحبوس.

وفيها توفِّي

بُوَيْه بن ركن الدولة

ويلقَّب بمؤيد الدولة[٢]، وكان مقيماً بجُرجان، ولمَّا احتُضِر قال له وزيره الصاحب بن عبَّاد: لو عهد الأميرُ الأمرَ إلى مَنْ يراه عهداً كان أسكنَ للجند، إلى أن يتفضَّل الله بعافيته وقيامه إلى تدبير مملكته، كان ذلك من الاستظهار الذي لا ضرر فيه ـ وكان قد عرضت له علة الخوانيق يوم الأحد ثالث عشر شعبان[٣] ـ فقال: أنا في شُغل عمَّا تخاطبني به، وما لهذا الملك قَدْرٌ مع انتهاء الإنسان إلى مثل ما أنا فيه، فافعلوا ما بدا لكم أن تفعلوا، ثم أشفى. فقال له الصاحب: تُبْ يا مولانا من كلِّ ما فرَّطتَ فيه، وتبرَّأْ من هذه الأموال التي لستَ على ثقةٍ من طيبها وحصولها من حِلِّها، واعتقِدْ ـ متى عافاك الله ـ صَرْفَها في وجوهها، ورُدَّ كلَّ ظُلامةٍ تعرفها وتقدر على ردِّها. ففعل ذلك، وتلفَّظ به، وقضى نَحْبَه.

وكتب الصاحبُ في الوقت إلى فخر الدولة بالإسراع والتعجيل، وأنفذ إليه خاتمَ مؤيد الدولة، وأرسل بعض خواصِّه وثقاته، فاستخلفه على الحفظ والوفاء بالعهد، وكان فخر الدولة إذ ذاك بأسفرايين من نواحي نيسابور، وقد رأى في منامه تلك الليلة كأنَّ ركنَ الدولة وعَضُدَ الدولة في مركب في بحر أسود، وقد قَدِما إلى الساحل، وأخذا

---

(١) الكُرّ: هو من المكاييل، مما يعادل ١٥٨٣ كغ تقريباً. ينظر معجم متن اللغة ١/ ٨٦.

(٢) بعدها في (م) و (م١): أخو عضد الدولة وفخر الدولة.

(٣) ما بين معترضتين جاء عوضاً عنه في (م) و (م١) ما نصُّه: وقد ذكر القصة أبو الحسين هلال بن المحسن بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن الصابئ، فقال: كان مؤيد الدولة قد أقام بجرجان، وجعلها داره، فعرضت له علة الخوانيق يوم الأحد ثالث عشر شعبان. قال: فحدثني القاضي أبو العباس أحمد بن محمد البارودي قال: لمَّا اشتدت العلة بمؤيد الدولة قال له أبو الهيثم إسماعيل بن عباد: لو عهد أمير الأمراء وذكر ما ذكرناه.

مؤيدَ الدولة، فأوَّل ذلك وفاة مؤيد الدولة، وقُدِّر له ورودُ الخبر به، فورد عليه كتاب الصاحب بِنَعْيه بعد ما رأى في المنام بخمسة أيام، فسار وهو على إضاقةٍ شديدة، وكان الصاحب قد أجلس الأمير أبا العباس خسرو فيروز أخا مؤيد الدولة، وأخذ له البيعة على الجند أنه خليفةُ فخرِ الدولة أخيه، فلما جاء فخر الدولة سلَّم له الصاحب المُلْكَ، وأطاعَه الناس، وحلفوا له على السمع والطاعة.

ولمَّا استقرَّ له المُلكُ قال له الصاحب: يا مولانا، قد بلَّغكَ اللهُ وبلَّغني فيك ما أملتُه أنا وأنت، ومن حقوق خدمتي له وحرمتي بك إجابتي إلى ما أوثره من ملازمة داري، واعتزال الجند، وتوفيري[1] على أمر الله، الذي هو أحسنُ عاقبةً، وأنفعُ لي في الآخرة. فقال له: لا تفعَلْ أيها الصاحب هذا؛ فإنَّني ما أُريد هذا المُلكَ إلَّا لك، ولا يستقيم أمري فيه إلَّا بك، وإذا كرهتَ ملابسةَ الأمور كرهتُ ذلك لكراهتِكَ، وعُدْتُ من حيث أتيتُ. فاسترجع الصاحب وقال: للهِ الأمرُ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ. وقبَّل الأرض بين يديه، وشكره وقال: الأمرُ أمرُكَ. ثم انصرف فخر الدولة إلى الريِّ، وخَلَع على الصاحب الخِلَع السنيَّة[2].

وتُوفِّي مؤيد الدولة وله ثلاث وأربعون سنة وشهرٌ، وكانت إمارته سبع سنين وشهراً[3] وخمسةً وعشرين يوماً[4]، وكان قد تزوَّج بنت عمه مُعِزِّ الدولة، فأنفق في عرسها سبع مئة ألف دينار، واسمُها زُبيدة.

[وفيها توفِّي

سعيد بن سلَّام

أبو عثمان المغربي[5]، وقيل: ابن سَلْم]

---

(١) من: توفر على كذا، أي: صرف همته إليه. المصباح المنير (وفر).

(٢) بعدها في (م) و (م١) زيادة: وفي رواية: لما قال فخر الدولة للصاحب ما قال، استرجع الصاحب وقال: لله الأمر من قبل ومن بعد. قلت: وهذه الزيادة قد مرَّت معنا آنفاً.

(٣) في المنتظم ١٤/ ٣٠٣: سبعة وستين شهراً. والمثبت من النسخ، وهو الموافق لما في النجوم الزاهرة ٤/ ١٤٤.

(٤) جاءت العبارة في (م١): وخمسة أيام، وقيل: وعشرين يوماً.

(٥) في (م) و (م١): أبو عثمان المغربي، سعيد بن سلام.

ولد بقرية من قرى القيروان يقال لها: كَرْكِنْت [ضبطها الخطيب بكافين، وكان أوحد زمانه؛ قال الخطيب][(١)]: كان أوحدَ عصره في الورع والزهد والعزلة، [لقي الشيوخ بمصر، ثم دخل بلاد الشام، وصحب أبا الخير الأقطع] وجاور بمكة سنين فوق العشر، وكان لا يظهر في المواسم، ثم انصرف إلى العراق [لمحنةٍ لحقته بمكة في السنة، فسُئِلَ المُقام ببغداد، فلم يُجِبْهم] ومضى إلى نيسابور، فأقام بها، وكانت له كرامات، وكان أبو سليمان الخطابي يقول قد قال النبي ﷺ لعمر: «قد كان في الأمم مُحدَّثون، فإن يَكُ في أمتي فعُمر[(٢)]» وأنا أقول: إن كان في هذا العصر أحدٌ من المُحدَّثين فأبو عثمان.

وقال أبو عثمان [(٣)]: كنت ببغداد، فكان بي وجعٌ في مثانتي، فكنتُ أستغيث بالله، فناداني بعض الجنِّ وقال: ما استغاثتُك [بالله] وغوثُه منك ببعيد؟! ثم قَرَّب إليَّ سطلاً، فبُلْتُ فيه، فخرج مني شيءٌ بقوة، فضرب وسط السطل حتى سمعتُ له صوتاً، فإذا هو حجرٌ قد خرج من مثانتي، وذهب الوجع مني، فقلت: ما أسرعَ الغوث! وكذا الظنُّ به.

[وذكره ابن خميس في المناقب وقال:] وكان أبو عثمان أوحدَ المشايخ في طريقته وتقدُّمه، ولم يُرَ مثلُه في علوِّ الحال، وصَونِ الوقت، وصحَّةِ الحكم بالفراسة، وقوةِ الهيبة.

سُئِلَ عن الاعتكاف، فقال: حفظ الجوارح تحت الأوامر.

وقال: من تحقَّقت عبوديَّتُه ظهر سِرُّه على مشاهدة الغيوب، فأجابته القدرة إلى ما يريد.

وقيل له: إن فلاناً سافر! فقال: يجب أن يسافر عن هواه وشهوته، وإلَّا فالسفر غُربةٌ، والغربة ذِلَّةٌ، وليس للمؤمن أن يُذِلَّ نفسَه.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و (م١)، وكلام الخطيب الآتي في تاريخ بغداد ٩/ ١١٢-١١٣، وما بين حاصرتين منه.

(٢) أخرجه أحمد (٨٤٦٨)، والبخاري (٣٤٦٩) و (٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه)، وأحمد (٢٤٢٨٥)، ومسلم (٢٣٩٨) من حديث عائشة (رضي الله عنها). والمُحدَّثون: هم الذين أُلْهِمَ إليهم.

(٣) في (م) و (م١): روي الحديث بإسناده إلى أبي عثمان قال.

وذُكر عنده قولُ الشافعي رحمة الله عليه: العِلْمُ عِلْمان؛ علم الأديان، وعلم الأبدان. فقال أبو عثمان: ما أحسنَ ما قال! علم الأديان علم الحقائق والمعارف، وعلم الأبدان علم السياسات والرياضات والمجاهدات.

وقال: مَنْ آثرَ صحبة الأغنياء على صحبة الفقراء ابتلاه الله بموت القلب.

وقال: الساكت بعلْمٍ أحمَدُ أثراً من الناطق بجهل.

وقال: من أعطى نفسه الأماني قطع عمرَه بالتسويف والتواني[١].

[ذِكْرُ وفاته: قال الخطيب[٢]: كان مقيماً بمكة، فسعى بعض الأعداء إلى العلوية في زُورٍ نُسب إليه، فأخرجوه من مكة، فقدم بغداد فأقام بها سنة، ثم خرج منها إلى نيسابور ومات بها] في جمادى الأولى، وصلَّى عليه القاضي أبو بكر ابن فُورَك، ودُفِنَ إلى جانب أبي عثمان الحيري، [وأوصى أن يصلِّي عليه القاضي ابن فُورَك، لقي عدَّةً من المشايخ؛ أبا يعقوب النهر جوري، وأبا الحسن بن الصايغ، وأبا عمرو الزَّجَّاج، وغيرهم، وكان ثقةً مأموناً.

وفيها تُوفّي

عبد الله بن أحمد بن مردانه

أبو محمد الأصفهاني، ويُعرف بالظريف، رحل وسمع الحديث، ومولده سنة ثلاث وسبعين ومئتين.

وحكى الخطيب[٣] عنه أنه قال: صُمْتُ ثمانيةً وثمانين رمضان، وكان زاهداً عابداً، سكن بغداد، وحدَّث بها عن البغوي، والباغَنْدي، وابن أبي داود، وغيرهم، وكان ثقة.

---

(١) ينظر طبقات الصوفية ص ٤٧٩-٤٨٣.

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١١٣ ، وما بين حاصرتين منه ومن (م) و (م١)، وجاء بدلاً عنه في (خ) و (ب): مات بنيسابور.

(٣) تاريخ بغداد ٩/ ٣٩٢، ووقع فيه وفي المنتظم ١٤/ ٣٠٤ اسم جده: ماهينرِذ أو ماهيزذ بدل: مردانه .

وفيها توفِّي]

عبد الله بن العباس

ابن أحمد بن محمد بن عاصم، ويُعرف بالعُصْمي، من أهل هَراة.

وُلِدَ سنة أربع وتسعين ومئتين، وسافر، ولقي الشيوخ.

[ذكره الخطيب فقال:][(١)] وكان ثقةً نبيلاً رئيساً جليلاً، من ذوي الأقدار العالية، وله إفضالٌ كبيرٌ على الصالحين والفقراء المستورين، وكان يُضرَبُ الدينار فيه مثقال ونصف، ويقول: إن الفقير يفرح إذا ناولتَه كاغَداً [(٢)] يتوهَّم أنَّ فيه[(٣)] فضةً، ثم يفتحه فيجده ذهباً، فيفرح، فإذا وزنه ووجده قد زاد على المثقال ازداد فرحُه.

استشهد [برسداق خواف من أعمال نيسابور، وأوصى أن يُحمل تابوتُه إلى هَراة، فحُمل إليها ودُفن بها، سمع بنيسابور مكيَّ بن عبدان، وبالري أحمد بن خالد الحروري، وببغداد يحيى بن صاعد وغيرهم. وروى عنه الدارقطني وابن رَزْقويه وغيرهما، وقَدِم بغداد وحدَّث بها، وسمع أيضاً، وأجمعوا عليه[(٤)].

[وفيها توفي]

عبد الله بن محمد

ابن عثمان بن المختار أبو محمد المزني الواسطي، [ويُعرف بابن السَّقَّاء.

قال الخطيب[(٥)]: ورد بغداد فحدَّث بها مجالسه كلَّها من حِفْظِه بحضرة ابن المظفَّر والدارقطني، وكانا يقولان: ما رأينا معه كتاباً إنما حدَّثنا حفظاً، وما أخذنا عنه خطأً

(١) تاريخ بغداد ٣/ ١٢٠.

(٢) الكاغَد: القرطاس. المعجم الوسيط (كغد).

(٣) في النسخ: يتوهَّمه، والمثبت من تارخ بغداد.

(٤) هذا الكلام بمعناه في المنتظم ١٤/ ٣٣٦، إلا أنه وقع فيه اختلافان، الأول: في اسم صاحب الترجمة، حيث وقع فيه: محمد بن العباس. والثاني: أنه ذُكر في وفيات سنة ثمان وسبعين وثلاث مئة!.

(٥) تاريخ بغداد ١٠/ ١٣٠-١٣١، وما بين حاصرتين منه، ووقع بدلاً عنه في (خ) و (ب) ما نصُّه: الحافظ، كانت وفاته بواسط، وكان ثقة، وقال.

في شيء، إلا أنه حدَّث عن أبي يعلى الموصلي بحديثٍ بَقِيَ في القلب منه شيء. قال أبو العلاء الواسطي: فلمَّا عدت إلى واسط أخبرتُه، فأخرج الحديث في أصله بخطِّ الصِّبا.

وكانت وفاته بواسط، سمع عَبدان وأبا يعلى الموصلي والبغوي وغيرَهم، وروى عنه الدارقطني وشيوخ الخطيب، ويوسف بن عمر القوَّاس. قال يوسف: وسمعته يقول]: الذين وقع عليهم اسمُ الخلافة ثلاثةٌ: آدم وداود عليهما السلام، وأبو بكر الصديق رضوان الله عليه.

قال الله تعالى في حقِّ آدم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وقال في حقِّ داود: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]، وقُبِضَ رسولُ الله ﷺ عن ثلاثين ألف مسلم، كلُّهم يقول لأبي بكر: يا خليفة رسول الله. ولم يَتَسَمَّ به سواه.

السنة الرابعة والسبعون وثلاث مئة

فيها صَلُح الحالُ بين فخر الدولة وصَمصام الدولة، وكان بينهما وَحشةٌ، فلما انتصب فخر الدولة في المُلك شرع أبو عبد الله بن سعدان في إصلاح ذات البين، فكتب إلى الصاحب بن عبَّاد، وكان يخاطبه بسيدنا الصاحب الجليل، والصاحب يخاطبه بالأستاذ مولاي ورئيسي، واتَّفق الحالُ بينهما على قدوم أبي العلاء الحسن بن محمد بن سَهْلويه من الريِّ للسفارة في التقرير والخِلَع السلطانية والعهد واللقب الثاني لفخر الدولة، فأكرمه أبو عبد الله وأنزله، وحمل إليه المال والثياب والهدايا، وخوطب بذلك فأجاب، وجلس يوم الجمعة لخمسٍ بَقِينَ من جمادى الأولى، وأُحضِرتِ الخِلَعُ المعهودة ما عدا التاج، وقُرِئ عهدُه بين يدي الطائع على بلاده، ولُقِّب بفلك الأمة مُضافاً إلى فخر الدولة، [وهو لقبٌ ثقيل، وخرج أبو العلاء إلى فخر الدولة][1] بالجميع فسلَّمه إليه، وعاد إلى بغداد فأقام بها نيابةً عن فخر الدولة إلى آخر أيام صَمْصام الدولة.

(١) ما بين حاصرتين من زيادة (ب).